الفصل السابع

الجنس والحياة

كيف يجابه الإنسان مشكلات الحياة ؟ : كل إنسان ذكى يهتم بمشكلات الحياة التى يحياها ، فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يعد نفسه ليقابل مشكلات هذه الحياة . ويفهم معناها ، ويؤكد لذاته أكبر قدر من الصحة ، والسعادة ، والفائدة ؟

هذه هى الأسئلة التى تأخذ أهمية خاصة فى حياة كل فرد ، وكل أسرة منظمة ، ومع أى مجتمع له هدف بنائى . وتعتبر هذه المشكلات التعبير الخارجى عن الضمير الاجتماعى ، إنها رمز الثقافة ، والمدنية .

إن نظام التعليم ، من أدنى المراحل إلى أرقاها ، من الحضانة إلى الجامعات ، يهتم بإعداد الأفراد لمواجهة الحياة ، هذا على الرغم من أن تأثير هذه المؤسسات ليس إلا واحداً من بين عديد من التأثيرات .

إن المنزل بدوره يقوم بتدريب الأفراد ، وتعديل سلوكهم ، وتنظيمهم ، منذ بداية فترة الطفولة المبكرة ، إلى ما بعد ذلك ، ويبذل جهداً مطرداً لإعداد الشاب لخبرات الحياة ، وحتى إذا لم ينجح المنزل أحياناً فلا يلغى ذلك رسالته . وإذا نظرنا إلى الأبوين اللذين يستحقان هذا اللقب ، نجدهما يسعيان جاهدين لتكوين طفلهما حتى يصل إلى مرحلة الرجولة ، أو الأنوثة ، ويستطيع أن يحقق وظيفتهما فيتعلم عديداً من المشكلات التى يجابه بها الحياة . وكثيراً ما يتعلم حلول هذه المشكلات بطريقة ضمنية ، تجعله يدرك النتائج دون أن يعى بالخطوات التى مرت

بها ، وهذا يسبب له بعض الأزمات ، لأنه حين يجابه المواقف الخارجية ، لايمكنه ذكاؤه أحياناً من القدرة على التكيف لما اكتسبه من عادات وتقاليد ، من الصعب عليه إعادة تشكيلها لمجابهة بعض المواقف الجديدة .

كما يحار الفرد أحياناً ، ويقف فى بلبلة فكرية . حين يجابه ببعض الأسئلة ، أو المشكلات ، التى لم يستطع أن يكون لها تفسيراً واعياً ، لأن أحداً لم يلقنه أى تفسير منذ البداية حول هذه المشكلات . أو أنها مشكلات لم يواجهها على أنها طبيعية . وبيئية . كان من الممكن أن يعلم الكثير عنها بطريقة صحية .

ومن بين ما يجب أن يتعلمه الإنسان قبل فترة البلوغ ، وفى أثنائها ، وبعدها ، أن يفهم شيئاً عن الحياة الواقعية . وأساليبها . كما يجب أن يفهم أن كثيراً من مظاهر الجنس مرتبطة بالحياة . وهنا تظهر المشكلة فى أن عدداً كبيراً من الآباء عندما يوجهون أبناءهم . يوجهونهم فى كل شىء عدا مسألة الجنس . التى يخرجونها من نطاق برنامجهم كلية . بل ويستنكرونها .

إن الجنس فى الحقيقة لايهمل ، كما يتصور هؤلاء الآباء ، بل على العكس من ذلك . ينحرف عن اتجاهه ومكانته الطبيعية . ويحاول الجنس أن يؤكد ذاته ، على الرغم من الإنكار الخارجى . بطرق مقنعة أحياناً ، ومقلوبة أحياناً أخرى ، وغالباً ما ينتهى بنتائج سيئة .

إن الأطفال فريسة هذا الاتجاه الخاطئ ، إنهم يرثون التوجيه المختلف على اعتبار أنه موافق عليه من الناحية الاجتماعية ، ويحملونه معهم حتى

عندما يصلون إلى دور البلوغ ، ويبدأون بالتالى فى توريثه من جديد بنفس الصورة لأبنائهم ، وعلى ذلك تبدأ الدائرة تعود إلى الدوران مرة أخرى ، وبنفس الطريقة .

إننا لا نستطيع أن نتنبأ أو نقدر ، مقدار الخسارة التى تلحق بالأفراد ، والجماعات ، نتيجة وضع سياج سرى ، تقليدى ، حول المعلومات التى يجب أن تعرف عن الجنس ، وأهميتها فى الحياة .

إن كثيراً من المحامين ، والأطباء ، يمكن أن يحدثونا عن عدد الرجال والنساء الذين حطمتهم ظروف الحياة ، لعدم قدرتهم على فهم طبيعة الجنس ، وأن كثيراً من الزيجات قد لحقه الفشل بسبب العجز عن إدراك المفاهيم ، لمشكلات الجنس . ومما يخيب الأمل ، أن الأساليب التى تعالج بها مثل هذه المشكلات ، هى أن نغمض أعيننا عنها ونتجنبها كطريق للخلاص .

إن مشكلات الجنس لها جانبها الجمالى ، وجانبها الآخر البنائى ، وهما جانبان يجب أن نواجههما كى ندرك حقيقة المفهوم السليم عن الجنس ، وعلى هذا يجب ألا نكون فريسة لتلك المساوئ التى تحدث نتيجة للسكوت الذى نتبعه حول مشاكل الجنس ، التى تعتبر من أكبر حقائق الحياة حيوية .

وأى شئ يمكن أن نتصوره أكبر قيمة ، من الجنس الذى تهبنا إياه الطبيعة ، ويعطينا القدرة على استمرار الحياة فوق الأرض ، والمحافظة على النوع ؟ لقد ذكر ستانلى هول فى كتاباته ، أن قصة العالم هى فى

جذورها قصة الحب ، وهو يعنى أن التاريخ بأوسع معانيه . هو تاريخ ، الحياة ، أو التاريخ البيولوجى . وليس فقط التاريخ الحضارى . أو قصص الوطنية ، أو الأجناس البشرية ، بمعاناتها ، ونموها ، وانتصارها . وفشلها ، واندثارها .

ظاهرة الجنس : إن أساس الحياة التى عمادها الصحة والسعادة . له جذوره فى تلك الظاهرة التى نسميها جنساً . فكل أشكال الحياة فيما عدا أحطها ، تعتمد على الجنس فى المحافظة على النوع . والجنس يوصف كثيراً على أنه الرباط الذى يربط الحياة كلها بعضها ببعض . إنه بلا نزاع القوة المغناطيسية فى حياتنا المتحركة التى تحوى كثيراً من القوى . وإذا تصورنا أى فرد فى تلك الحياة التى نعيشها ، يمكن وصفه بأنه ناقص من حيث استعداده الجنسى ، إن مثل هذا الشخص ليس لديه القدرة على أن يملأ حياته سعادة ، أو يحقق وظيفة حياته بيولوجياً بالإكثار من نوعه .

إذا كان ثمة إنسان غير عادى من الناحية الجنسية بوجه خاص ، سواء أرجع ذلك إلى الوراثة ، أو أى طريق مكتسب ، فإن هذا النقص الذى يعانيه ، يعد عجزاً حقيقياً عن الإحساس بالسعادة ، والصحة ، فى الحياة .

إن كثيراً من الأمراض الجنسية ، وعدم القدرة الجنسية ، يمكن أن تكون نتيجة أشياء عديدة غير تلك التى يمكن تحديدها بالعجز الوراثى ، بمعنى أصح يمكن إرجاع أسبابها إلى الجهل بالجنس ذاته ، حتى فى بعض الحالات التى ترجع إلى ناحية وراثية ، فإن جانباً منها سببه جهل

الأجداد ، الذين من خلالهم انتقلت هذه الناحية الجنسية إلى الأجيال اللاحقة .

وفى الحقيقة إن فهم الجنس يعتبر مسألة هامة جداً بالنسبة لأى إدراك أصيل للحياة ، وما من شك أن النزعات اللاشعورية فى التعبير لها الأثر الذى يبين طبيعتنا الجنسية ، كما يظهر ذلك فى الدوافع اللاشعورية . فكل ما يدور حولنا يمكن أن نرى فيه آثار الجنس ، كما توجد حولنا أمثلة قد لايسهل علينا رؤيتها ، أو هى من الدقة بحيث لا تستطيع أن تأخذ بانتباهنا .

التكاثر بلا جنس: إن أكثر الأشكال بدائية تتمثل فى الخلية التى لها طريقة بسيطة للتكاثر ، عن طريق الانقسام . فكل خلية تكبر إلى الدرجة التى تستطيع أن تصل إليها ، ثم تنقسم وتكوّن خليتين . وتشبه الخلية الجديدة تماماً الخلية الأم من جميع الجوانب . كما أن الخلية التى تولدت بالانقسام . تتبع نفس النظام فى الانقسام ، ولذلك ما لم يحدث أى شىء يميت الخلية ، فإنها تصبح خلية أبوية يمكن أن تنقسم فتصبح اثنتين لهما نفس الشبه عن طريق هذا الانقسام . ويمكن أن نشاهد هذه الظاهرة حتى فى بعض النباتات ، فخلية من جسم النبات فى دور النضج تصبح خليتين عن طريق الانقسام ، أو عن طريق دفع برعم إلى الوجود ، وكل خلية من الخليتين تتحول إلى نبات له فردية جديدة .

وانقسام الخلية يمثل أدنى أنظمة التكاثر ، الذى يأخذ شكلا فى الخضروات عن طريق البذور ، وفى بعض أنواع الحيوانات من خلال وضع البيضة . وتعتبر الطرق التى تتبع مع العمليات الأكثر تهذيباً ، التى

تنتهى بوضع بذرة أو بيضة . كوسيلة من وسائل التكاثر لها مميزاتها فى تكاثر الإنسان . أو الحيوان . بوجه عام . وهى تعد وسائل جنسية . وبتتبع أثر الجنس . يمكننا أن نشاهد دوره فى المحافظة على الحياة . وكلما ازداد الوعى ازدادت سعادة الإنسان . وإحساسه بالنشوة . وكلما لاحظنا الأشكال فى الحياة الوضيعة . وجدنا أن للجنس دوراً هاماً يكاد يكون محور الاهتمام فى كل نشاط الحياة . وأى مظهر قد لا يبدو من بعيد مرتبطاً بالجنس . حتى البحث عن الطعام . أو المحافظة على الحياة ، يمكن أن يعتبر شيئاً ثانوياً ويرتبط فى جوهره بالناحية الجنسية .

وفى بعض الحشرات على سبيل المثال . تنتهى الحياة الفردية والنمو بالتمهيد للتكاثر . كما هو الحال فى غير ذلك من مظاهر الحياة . وحين يحدث التكاثر . فإن حياة هذا الفرد تعتبر قد أدت وظيفتها بالنسبة للنوع ، وعلى ذلك يختتم حياته .

كيف يصبح الجنس معقداً ؟ : وكلما ارتقينا فى سلم الحياة من الناحية البيولوجية . أصبح التعبير الجنسى شيئاً فشيئاً نشاطاً محدداً ، سواء لفترة ، أو فى مناسبات . بدلا من أن يكون الوظيفة الشاغلة لكل الحياة ، حتى فى الأحوال التى يظهر فيها على فترات أو مناسبات . فإن هناك مظاهر جانبية لاتؤخذ بطريقة واعية على أنها مميزات للجنس ، بينما هى فى الحقيقة تؤكد الجنس دون أن تكون هناك ثمة صلة واعية بالدافع الجنسى ، أو الاستجابة الواعية .

وهذه المميزات أو الاستجابات الجنسية قد تكون جسمية ، أو نفسية ، وهى تعطى مغزى . وجمالا . وموسيقى . للأنظمة الدنيا ،

وبالإضافة إلى ذلك . تعطى شعراً . وغزلا . ومثالية للحياة الإنسانية . فإن ريش ذكر الطاووس . ومعرفة الأسد . وصياح الديك . هى أشياء تميز جوانب الطبيعة التى وهبتها لبعض المخلوقات . للإثارة الجنسية . وبالنسبة للإنسان . فقد وهبته الطبيعة أشياء مشابهة لنفس الغرض . وبجانب هذه الملامح الزخرفية التى تميز التعبير الجنسى الثانوى . هناك مظاهر أخرى عامة فى الحيوانات تعرض نفسها للتعبير عن النشاط الكيميائى . الذى يأخذ طريقه . ويمثل مكانه . داخل أجسامها . وعلى أى حال . فإن كل مظاهر الجنس فى جوهرها ما هى إلا مظاهر لكيمياء الجسم . والتى تتكون أساساً من إفرازات الغدد الجنسية . واستجاباتها بالنسبة للأعضاء الأخرى . والأنسجة . والجهاز العصبى . ولذلك فإن الحيوانات يمكن أن تعرض أشكالا مميزة للاهتمام الجنسى . وعليه فإنها تثير الجنس بالنسبة لبعضها البعض . عن طريق بعض الحركات والأوضاع . وعرض الجسم . والرقص . أو عن طريق فرد الريش وطيه . لتجذب العنصر الآخر من نفس الفصيلة .

وهذه الأفعال تعتبر غريزية تلقائية . وأحيانا آلية . وليس للحيوان فضل فى اختيارها ، حتى فى بعض الحالات التى يتغير فيها لون الريش . أو الفرو . أو الشعر ، يتوقف على تأثير الكيمياء الداخلية . نوع السلوك الظاهرى . وهذا السلوك البيولوجى يرتبط بالتوتر أو الاسترخاء . فى تأدية الوظيفة العضوية . وكلما ارتقينا فى سلم الحياة ، وصلنا إلى الجنس المهذب الراقى ، إلى حد التضحية . والبطولة ، والإخلاص ، وهناك بعض الحيوانات على مستوى عال . تحقق هذه النزعات . شأنها فى ذلك شأن الإنسان .

ولا شك أن الطفل يمهد فى سنواته الأولى للحياة الجنسية ، التى تظهر بوادرها فى فترة المراهقة . والتى تصل إلى ذروتها فى حياة البلوغ .

دافعا الجوع والجنس : هناك دافعان رئيسيان يسيطران على الحياة العضوية ، وهما دافعا : الجوع ، والجنس . فالحياة ديناميكية وتعبر عن الطاقة . ولكى تستقر تلك الحياة لابد من مورد دائم للتغذية . لهذا ، فإن من الدوافع الأولى للإبقاء على الحياة واستقرارها فى كل المستويات ، دافع البحث عن الطعام . وقد كان هذا الدافع ، تحت ظروف خاصة بالنسبة للإنسان البدائى . قوياً يرتبط باحتفالات أشبه بالأعياد الموسمية . حين ينجح هذا الإنسان فى الحصول على صيد ثمين ، كما كان أكثر ضغطاً وقوة مما نلاحظه الآن بالنسبة للإنسان المتمدين . حيث إن الحالة الأولى كانت تمثل غريزة الجوع بشكل واضح .

ومع نمو الوسائل الحديثة ، أصبح أمام الغالبية من الناس حالة من الصراع الاقتصادى ، ولكن هذا الصراع يختلف من طبقة إلى أخرى ، ويتغلف بظواهر ثقافية . وتهذيبات . أصبحت من الضرورات المرتبطة بنموعادات الإنسان المتمدين فى العصر الحديث .

وبعد هذا الدافع الأساسى ، دافع الجوع الذى يعتبر غريزة الإنسان لحفظ النوع ، يأتى دافع عالى آخر لا يقل شأناً ، هو دافع التكاثر . وهذا الدافع يعتبر أساسياً مثل دافع البحث عن الطعام ، لأنه يتضمن غريزة المحافظة على النوع .

إن أية محاولة لمواجهة مشكلات الحياة دون اعتراف بكلا الدافعين ، يؤدى إلى فشل . إن مشكل التغذية ، وهو مشكل اقتصادى ، يجابهه

الناس جميعاً ، فكل فرد عادى يأمل أن يجعل من حياته الخاصة اكتفاء ذاتيًا ، وذلك بما يستطيع أن يحصل عليه من الحاجات المادية . وهذا الدأب على تغطية هذا الجانب ، يظهر بصورة واضحة عند الإنسان ، حتى ولو لم يستطع أن يحقق حاجاته المادية ، لدرجة أنه عند تدريب الناشئ ، يؤخذ هذا فى الاعتبار . بل ويصبح شيئاً ملحوظاً قبل البلوغ ، حيث يبدأ الفرد يتأثر بالعمليات الاقتصادية ، والصراعات التى تدور حوله ، حتى ولو لم يكن يفهم الميكانيزم المستتر وراءها .

ولكن الإنسان ينظر نظرة مختلفة . بل تتصاعد هذه النظرة لتصبح جماعية للدافع التكاثر . ويظهر هنا عامل غاية فى الأهمية . يؤثر على حياة الفرد ، إلا أن النتيجة مع الأسف غالباً ما تترك للظروف والصدف .

إن نمو الوسائل المدنية ، والفرص التى منحتها الثقافة الحديثة . أعطت المجال للدافع الجنسى كى يظهر . ويتأكد . ويأخذ شكل دافع الحب . ومع هذا فإن هذا الموضوع لم ينل من عناية العصر ، رغم أهميته . ما يستحق أن يناله . أو يحظى على الأقل بالاهتمام الذى كان يوليه به الرجل البدائى .

اتجاه المتوحشين نحو الجنس : إن المتوحشين يعترفون بالدافع الجنسى ، ويحاولون إعداد الصبى والصبية لمسئوليات المستقبل المتوقعة حينما توقظ الجوانب الجنسية .

وفى الحقيقة ، إن جوانب الإبهام المرتبطة بالجنس ، كان لها تأثير كبير على عقلية الرجل البدائى . كان الرجل المتوحش يتصور صوراً

خارقة للعادة ، وهذه التصورات كانت تلون خيالاته الجنسية ، التى كانت لها دلائلها الخاصة فى الديانات البدائية . ولذلك فإن الرمز الجنسى يعتبر من أقدم الأشياء فى ميراثنا الاجتماعى ، وكلما اتجهنا بعقلنا إلى الوراء سنجد أن الإنسان كان يعبد القوى المنتجة للطبيعة .

ونجد بين الشعوب البدائية ، أن الظاهرة الجنسية كانت تمارس بأشكالها الطبيعية دون تقنع . وما زلنا نشاهد أمثلة لهذه المظاهر البدائية حتى يومنا هذا . ومع ذلك فبمرور الزمن ، وفقدان بساطة الحياة . والأساليب البدائية ، نشاهد أن العادات الجنسية تشكلت ، وتغير مظهرها ، إلى صور أكثر تهذيباً .

ونتيجة لهذا ، ظهر بالتدريج عزوف عن العبادة الغفلة للأعضاء الجنسية ، وللعمليات الجنسية ، وللتمثيل الظاهرى ، واستبدلت بتعبيرات رمزية للممارسات الأولية . وما زلنا نستطيع أن نرى حولنا ، وبصورة مادية ، وأحياناً بطريقة مقنعة ، وأخرى واضحة ، هذه الرموز فى حياتنا اليومية . وبعض هذه الصور القديمة التى تمثل ميراثاً رمزياً ، ما زالت تحمل فى طياتها حيوية كبيرة ، بل ولها تأثيرها الانفعالى على حياة الإنسان المتمدين ، وعلى خياله .

وإذا نظرنا إلى العصور التاريخية ، نشاهد أشكالا مختلفة لعبادة الجنس ، وتأكيد أعضاء التناسل . كان البغاء المقدس وأشكال أخرى شبيهة ، تمارس عند المصريين القدماء ، والفينيقيين ، والبومبيين ، واليونانيين ، والهنود الشرقيين ، وغيرهم من الشعوب هنا وهناك . إننا لانشاهد فقط آثار رسوم الأعضاء التناسلية فى القطع الأثرية التى

خلفتها تلك الأجناس ، بل ما زلنا نشاهد أيضاً حتى وقتنا هذا ، هذه الرسوم فوق جدران بعض المعابد للشعوب التى تلت .

تنوعات متعددة لعبادة الطبيعة : هناك صور متعددة لعبادة الطبيعة . منها على سبيل المثال : الاعتقاد فى قدرة الشمس وتأثيرها الإخصابى على الأرض ، وعلى ذلك فإن عبادة الشمس لها ارتباط بالممارسات الجنسية الإنسانية ، وكذا خصوبة الأرض .

ومن أفضل الأمثلة المعروفة عن البغاء الدينى ، تلك الشعائر التى كانت تمارس فى معابد ڤينس الكلدية[١] . والتى كان يطلق عليها « ميليتا »[٢] . كما ذكرها هيرودوت . واسترابو ، وغيرهما : عن طريق الملاحظة المباشرة . وهناك شعائر شبيهة متعارف عليها كانت تمارس فى فينيقيا . وكارساج ، وسوريا . وكانت تعرف فيها ميليتا أو ڤينس باسم « أستراتا »[٣] .

وعبادة الجنس بالنسبة للكتاب الحديثين . يشار إليها غالباً تحت كلمة[٤] مشتقة من اسم إغريقى استعير للإنجليزية فى صورته اللاتينية[٥] ، وهى كلمة تشير فى صفتها[٦] إلى عضو التناسل الذكرى للجيل .

إن الأسطورة المشهورة عن سان باتريك وهو يحاول أن يطرد الثعابين من إيرلندا . ترمز إلى محاولته استخراج الشعائر الجنسية التى كان

---

(١) Ghalden Venus
(٢) Mylitta
(٣) Astrate
(٤) phallicism
(٥) phallus
(٦) phallis

يعبر عنها بطريقة رمزية ممثلة فى الثعبان ، وهو من أوضح الرموز التى تشير إلى الإخصاب[١].

وفى العصور القديمة . كانت صورة العضو الذكرى ، أو صورة الجانب الظاهرى لعضو الأنثى . من التمائم الشعبية الشائعة التى يلبسها كل من الرجال والنساء على شكل تعويذة . أو حجاب . يمكن أن يجلب لهم « الحظ السعيد » . وهذا الرمز كان يعتقد أيضاً أنه يحوى القوة على منح الرجولة[٢] أو القدرة على الإخصاب . لمن يحمله . وهناك تعاويذ مشابهة . لكنها أكثر تنكراً فى رموزها . ما زالت من الأشياء الشعبية التى يقتنيها النساء .

وهناك مصطلحات أخرى شائعة توضح الرموز الجنسية . أحدها « لينجام أو لينجهام[٣] . ويشير إلى عضو الذكر . والآخر « يونى »[٤] ويشير إلى عضو الأنثى .

إن نوافذ وأبواب الكنائس والكاتدرائيات وفتحاتها . غالباً ما تأخذ الأشكال التى توحى بعضو التأنيث . وغالباً ما تستخدم ليوضع فى مقامها التماثيل الدينية . وتوضح لنا هذه الظاهرة كيفية استخدام الرموز الجنسية بصورة متصلة . تبدو فيها مرتبطة بالظواهر الخارقة ، أو الطقوس الدينية ، سواء كان ذلك بطريقة شعورية . أو لاشعورية . ولعل هذه المناقشة ترينا إلى أى حد يرتبط الجنس بالحياة البشرية ،

---

(١) procreation
(٢) virility
(٣) lingham
(٤) yoni

ويبين تراث الإنسان فى اهتمامه بالمجال الجنسى . هذا بجانب الاهتمام البيولوجى بصلة الجنس بالحياة ذاتها .

البرود الجنسى : ويعتبر من الموضوعات الهامة التى تثار حول فصل الجنس عن الحياة . وترجع أسباب البرود الجنسى فى حالات كثيرة . إلى ظروف وملابسات قديمة . والبرود الجنسى أو الأناسيزيا الجنسية[١] ، أنواع . وتختلف درجة الإحساس الجنسى من فرد لآخر . مثلما يختلف المزاج الإنسانى . ويمكن أن نوضح فى هذا المقام نوعين من البرود : أحدهما ذو أساس بيولوجى . والثانى برود مزيف[٢] . والنوع الأول يولد الإنسان عادة مزوداً به . ويبدو على صورة نقص فى الإحساس الجنسى . ينتهى بسوء تكيف جسمى من الناحية الكيميائية . ومن أسباب هذا النوع من البرود ، النقص فى نظام الغدد الذى يعطل الرغبة الجنسية العادية . وليس من اليسير تحسين هذه الحالة . إلا إذا استطاع الطب أن يعيد الحيوية للغدد التالفة . حيث تستطيع أن تؤدى من جديد وظيفتها ، كما يحدث بالنسبة للغدد عامة . لكن تلف الغدد الوراثى لايسهل فى أغلب الحالات علاجه .

أما النوع الثانى من البرود الجنسى الذى اعتبر مزيفاً ، فليس له أساس عضوى . وإنما الشخص الذى يعانيه وضع فى ظروف اشتراطية قوية كابتة ، عن طريق تدريب خاطئ . وغير منطقى . ومثل غير سليمة . أوخبرة مصدمة فى حياته المبكرة حتى توتر شعوره الجنسى العادى .

---

(١) sexual anesthesia

(٢) counterfeit

ويمثل النساء أغلب حالات هذا النوع . ولأسباب واضحة يتعرض هؤلاء النساء للتأثيرات الكابتة التى تنتهى بهذه الظاهرة. وهذا البرود المزيف قد يسهل علاجه لأن أسبابه غير بيولوجية . لكن فى الحقيقة إن الظروف التى تؤدى إلى هذا النوع من البرود . ليس من السهل التغلب عليها أو معالجتها . ومن بين الأسباب الرئيسية فى صعوبة العلاج ، أن الذين يعانون من هذا النقص لا يريدون عادة أن يعالجوا . لهذا فهم يمثلون فى الحقيقة مشكلة سيكولوجية عامة، وليس من سبيل لعلاجهم إلا عن طريق إعادة تربيتهم تربية نفسية جديدة . وكما نعلم أن الناس لا يرغبون عادة أن تعاد تربيتهم ، وخاصة إذا كانوا قد وصلوا إلى تكوين مفاهيم جامدة . فالصعوبة كبيرة . وفى أغلب الأحيان يعتبر التغلب عليها ميئوساً منه . ومع هذا ، إذا كانت الشخصية التى تعانى من هذه الظاهرة لديها عقل متفتح بحيث تستطيع أن تدرك الموقف . ويمكنها أن تحاول التغلب على العقدة . فإن مثل هذه المرأة تستطيع أن تعود إلى حالتها الطبيعية . خاصة إذا صادفت نصحاً أو معاونة من إنسان له قدرة على الفهم وتبصر مشكلتها ، فإن توجيهه يحقق نجاحاً ملحوظاً .

جوانب أخرى من القدرة الجنسية : إن المرأة التى تعانى من البرود الجنسى ، ومن الكبت المرتبط بالإحساسات الجنسية . غالباً ما تمثل مشاكل بالنسبة لكل من يحاول أن يكون صلة معها . والمرأة التى تعانى من النقص الجنسى ، غالباً ما تحاول أن تعوض هذا النقص بإظهار حماسها فى مجالات أخرى من النشاط . كان من الممكن أن تكون بالنسبة للمرأة العادية هى حياة الجنس والحب . أما تلك المرأة التى تعانى

من البرود الجنسي ، فإن حماسها الشديد فى هذه الأنشطة المختلفة يبين فى الحقيقة عدم اتزانها الانفعالى ، وهى ظاهرة واضحة فى مثل هذه الحالات مهما كانت عقلية المرأة من الناحية الاجتماعية ، ومهما كانت مثاليتها .

وهذا النوع أيضاً يمكن أن تشاهد له أمثلة فى الرجال . ولكنه لا يظهر بشكل متميز ، مثلما يبدو فى حالة النساء . ومن الطبيعى أن غالبية النساء اللائى يعانين من الكبت النفسى ، لاتنتمين إلى هذه الطبقة ، إنهن غالباً ما يكن زوجات بيوت . أو سيدات بلا أزواج ، لايلفتن النظر أكثر من أى وضع عادى ، وكل مشكلاتهن ترجع فى أغلب الحالات إلى تربية خاطئة ، أو تربية تنسكية . استطاعت أن تلف عقولهن بعقائد تنطوى على أن كل تعبيرات متصلة بالطبيعة الجنسية ، ما هى إلا أشياء مزرية ، حزينة ، وغير خالصة . وحين تبدأن العيش وفقاً لمثالياتهن ، أو حتى حين يصلن إلى نوع من التوفيق فى وضع زواجى ، فإنهن يدفعن ثمناً غالياً بعذاب روحهن ، لما يعانينه من نقص فى الفهم بسبب سخريتهن بالقوانين العامة للطبيعة .

ويؤكد الدكتور نيستروم[1] الحجة السويدى فى هذا المقام ، أن العدد الكبير من الحالات الباردة ، يمكن أن نجدها بين النساء اللائى يظهر برودهن حتى فى أثناء تأدية العملية الجنسية ، يظهرن بشكل مضاد ، ويبدون كجثث ليس إلا . إنهن يولدن ، وينتقلن خلال الحياة آكلات شاربات ، لابسات ، دون أى شعاع من الحب ، يمكن أن يحرك

(١) Nystrom

وينعش وجودهن الذى لالون له . إن التربية التى تعودهن الخطيئة والتى بنيت على نوع من التنسك . والمبادئ التصوفية يمكن أن يعزى إليها اللوم لهذه الحالة غير الطبيعية يشعر هؤلاء النساء المتزوجات ويعبرن عن حالة من السأم والتقزز فى أثناء العملية الجنسية مع أزواجهن . وهن لا يسمحن بتأدية هذه العملية إلا كشئ من التضحية . معتقدات أنهن يفعلن شيئاً خاطئاً . أو باعثاً للإحساس بالذنب .

إن المثالية الخاطئة التى يعزى إليها محاولة فصل الجنس عن حالات الحب ، وهو أمر متناقض فى حد ذاته . لم تنجح إلا فى خلق جوانب من الأذى لاتحصى . ومما هو مشكوك فيه أنها على الأقل قد نجحت فى منع الاختلاط الجنسى . وفى الحقيقة إن هذه الوسائل الحاسمة التى أثرت على مدعى الحشمة . كانت على العكس باعثة على استثارة جنسية مغالاً فيها . كرد فعل مضاد .

الخطأ فى أفكار الجنس : إن ربط العملية الجنسية بالإحساس بالذنب يمكن إرجاعه إلى بعض المعتقدات الدينية . بل لعله يرجع إلى فكرة عدم نقاء المرأة التى كانت تمثل وسواساً بالنسبة لكل مؤسس الديانات المبكرة . وقد ظل هذا الأثر ينتقل من جيل إلى جيل حتى العصور الحديثة .

وعلى سبيل المثال : إن القانون الكنائسى يقول إن النساء اللائى يخضن فترة النفاس ، يجب أن يمكثن فى المنزل على الأقل ستة أسابيع بعد ميلاد الطفل ، حيث إن عادة المسيحية ونظامها ، يقتضيان ذلك كما تقتضيه حالتهن الصحية . وبعد هذه الفترة يمكن أن يجرى لهن

الشعائر الكنائسية كما هى العادة . فبعد ميلاد طفل أى بعد تحقيق أسمى وظيفة تقوم بها المرأة . فإن الأم يجب أن تطهر[١] قبل أن يسمح لها بالانخراط فى سلك الكنيسة .

أما اليهود القدامى الذين اعتبروا النساء مخلوقات متخلفات ، كما يمكن أن ندرك هذا من تقاليدهم القديمة وكتاباتهم . نظروا إلى الزواج نظرة لاتقل ازدراء . فاتجاههم أثر على الديانة المسيحية . كما هو الحال فى مجالات أخرى . يقول « جرمايا » مثلا إن الأرض تمتلئ بالزواج . ولكن السماوات تمتلئ بالبكارى . أما بول[٢] مؤسس العقيدة الدينية المسيحية ، فقد وضع العزوبية فوق الزواج . وعلى ذلك يضع نفسه فى توافق وبدون خطأ فى رسالاته[٣] إلى الكورنثيين . فى الحقيقة كان بول منزعجاً من فكرة ذنوب الجسد . وبعد هذا نجد أن الكنيسة احتضنت أخلاقيات كل عمليات الكبت المتصلة بالجنس حتى للدرجة التى تحطم فيها الزواج كما فعل بعضهم فى بعض الحالات بأسلوب لايحتمل التوفيق . وعلى ذلك نبع الموقف الذى يضطر القديسين للعزوبية .

إن محاولة استنكار الجنس تبدو واضحة فى ديانات متعددة ، فكل القصص التى تروى عن ميلاد قادة الديانات تشير إلى ميلادهم بدون خطيئة ، أى بدون الذنب المرتبط بالجنس . هكذا تصوروا المسيح ، كما تصوروا بوذا على أنه صورة خارقة . فأم بوذا كانت نقية ومقدسة ، مثلما كانت الأم مريم العذراء ، فالقديس البوذى يجب ألا ينغمس فى أى علاقات جنسية ، كما يجب ألاّ يكون بينه وبين أية امرأة صلة

(١) purified (٢) Paul (٣) Epistles to the Corinthians

جنسية من أى نوع ، والعزوبية أيضاً من التقاليد التى يمكن أن نلمحها مع بعض القديسين فى الصين .

المثل الدينية المبكرة : إن العوامل المرتبطة بمفهوم الجنس على أنه شىء مثير للذنوب ، شىء غير تقى ويبعث على السأم ، لكنها أمور تظهر بوضوح مدى تعقدها ، ولكنها فى الوقت نفسه يمكن أن نجد لها جذورها فى مثل الإنسان ، وديانات المبكرة . ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه فى الوقت الذى كانت تظهر فيه تلك النزعات . لم تكن هناك معرفة نسبية واضحة بطبيعة الجسم الإنسانى ، وحاجاته العضوية ، وما يحتاج إليه من سيطرة ذهنية على الوظائف الطبيعية للأعضاء التناسلية .

وكانت الديانات التى تحث على المثل . والعزلة ، تتغير بطريقة غير مباشرة . فتحدث مغالاة فى الانغماس فى الجنس . ولم يكن لفظ جنس راجعاً لشىء إلا للفظ بهرج الحياة فى هذا الوقت . ولا يمكن أن يكون ذلك تفسيراً كاملا للدوافع اللاشعورية التى تختفى خلف المحاولة الدراماتيكية لجعل الطبيعة البشرية غير مستساغة قانوناً . لعلها من الأشياء الخارقة للطبيعة التى يمكن تبريرها نظريًّا ضد بعض قوانين الطبيعة التى لم تكتشف بعد . ولكن القانون نفسه ينطبق على ممارسة العملية بنفس المنطق ، ينطبق عليها عن طريق خلقه لنوع من الاستجابة السقيمة لأن العملية ، فى ذاتها لم تكن مفهومة ، وأنها تخلق فوضى حينما نغفل عنها .

ولا يمكن أن نقر بأن العزوبية هى شىء مستساغ بالنسبة للحياة العادية لشخص بالغ ، وقد نجد مع ذلك بعض الأشخاص الذين يجنحون نحو العزوبية لأسباب فى تركيبهم الجسمى ، والنفسى ، الأمر الذى لايجعل العزوبية شيئاً له ضرر كبير بالنسبة لهم . وفى الحقيقة إن أشخاصاً

من هذا النوع ، غالباً ما يكونون من أرق أنواع الناس ، ويجابهون أسباباً تنتهى بهم إلى تفضيل العزوبية ، ولكن هؤلاء لايمكن اتخاذهم أمثالا للرجال العاديين أو النساء ، ولا يمكن الاحتذاء حذوهم .

وفى العادة فإن أولئك الذين يمرون فى ظروف تنتهى بهم مضطرون إلى تفضيل العزوبية على غيرها ، أو الذين يوضعون فى أوضاع اجتماعية تفرض عليهم العزوبية ، فإنهم يظهرون بشكل متميز تأثيراتهم الساخطة على الوضع العزوبى[١] .

الجنس والتربية : ومما تقدم يمكن أن نتبين إلى أى حد يحتاج الفهم الجنسى إلى إعادة نظر من ناحية العادات البيئية الموروثة حوله وأثرها فى الكبت النفسى الذى له دلائله فى عرقلة نمو الشخصية . وقد آن الأوان أن يعرف التلميذ فى التعليم العام شيئاً عن تركيبه البيولوجى ، والوظائف الجنسية التى يؤديها حفاظاً للنوع .

وقد بدأنا منذ فترة نساير الغرب فى اتجاهاته فى اختلاط الجنسين فى التعليم العالى والجامعى ، هذا مع وجود الاختلاط فى المرحلة الابتدائية وفى بعض مدارس اللغات الأجنبية ، لكن هذا الاختلاط ولو أنه يخفف كثيراً من التوتر النفسى ومن الانفعالات المغالى فيها التى تحدث بين الجنسين حينما يغالى فى عزل كل عن الآخر ، إلا أن هناك عادات كثيرة لم تكتسب بعد لجعل هذا الاختلاط صحيًّا ومثمراً .

---

(١) عديد من حقائق هذا الفصل مستخلصة من مؤلف الكاتب الأمريكى وليام فيلدنج William J. Fielding, *Sex and the Love Life*, N.Y. : Permabooks, 1948. pp. 1 — 41.

فما زالت العادات القديمة التى أوجدت زى المرأة المتستر كالملاءة والبرقع . والذى ما زالت مظاهره تشاهد حتى اليوم فى الصعيد، وفى المناطق الشعبية ، وهذه العادات ما زالت هى الطاغية المسيطرة عند كل من الرجل والمرأة . بل وعند المرأة بوجه خاص .

فإذا تصادف أن تحدثت طالبة إلى زميلها . ورؤيت معه فى حوار فى فناء الكلية أو فى الشارع . فإن ذلك كفيل أن يثير إشاعات كثيرة حول هذا الوضع . ولذلك يضطر الجنسان إلى التستر على اللقاءات التى يضطران إليها ، وفى التستر تحدث مشكلات أكثر تعقيداً مما يدل على أننا نترك المفاهيم عن الجنس فى صورة سلبية لم نستفد فيها من تجارب الأمم التى تقدمتنا .

وتزداد المسألة تعقيداً فى أمور الزواج التى ما زالت تخضع للعرف الاجتماعى ، ولتقاليد جامدة مما يعقد الحياة الأسرية . ويخرج للمجتمع سلالة هى وليدة الضيق النفسى الذى ينتج من الحياة الزوجية غير المتكافئة . وكما يقول المثل « كل بيت مقفول على همومه » .

وقد آن الأوان أن نغير كثيراً من العادات الجامدة حول الجنس ونخلق جواً جديداً للشباب يمكن أن يتحسسوا فيه السعادة . وينتهى بالشاب والشابة إلى اختيار كل منهم للآخر لحياة زوجية سعيدة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن نأخذ بالمبادئ الآتية :

١ — أن يكون من بين البرامج التى تدرس للشباب مقرر عن الجنس والحياة الجنسية ، ودور الرجل والمرأة . ويدعم بالفهم العلمى وبالصور من زوايا بيولوجية ، ونفسية ، واجتماعية . ودينية . وتاريخية .

٢ – أن تخطط بعض البرامج الرياضية ، والترويحية المناسبة التى يمكن أن يشترك فيها الفتى والفتاة ، ويتعرف كل منهما على الآخر فى أثناء تأدية نشاط مشترك ، كالتنس ، الجوالة ، التمثيل ، الرحلات ، النشاط الثقافى ، الأبحاث البيئية والاجتماعية .

٣ – إدخال ألوان من الرقص الفولكلورى الذى يجمع الفتى والفتاة فى نشاط حى .

٤ – إدخال أنواع من الفنون : كالرسم ، والنحت ، والشعر ، والأدب ، والتمثيل ، والموسيقى ، والغناء التى يمكن أن يحدث فيها أداء فردى أو جماعى مما يوطد الروابط بين الجنسين .

٥ – تنمية دستور للعلاقات بين الجنسين ينمى الصداقات بدون انحرافات ويتم على أساسه التعامل بمزيد من الفهم .

٦ – توسيع دائرة الفهم لمغزى الجنس وعدم قصره على الفهم المادى للعملية الجنسية ، بل يجب أن تمتد النظرة لإدراك التطور الجنسى من المهد إلى اللحد ، والأشكال التى يمكن أن يتخذها فى مراحل النمو المختلفة .

٧ – يجب إعادة الفهم العلمى للجنس حتى يتغير مفهوم الإحساس بالذنب المرتبط باختلاط الجنسين إلى مفهوم بنائى من الناحية الاجتماعية .

٨ – يجب التسليم بأن الحب أساس المجتمع ، بل أساس تكوين الأواصر النامية بين الجنسين بصورة مهذبة ، واستنكار الحب أو النظر إليه كجريمة اجتماعية ، لايخلق فى النهاية إلاشخصيات معقدة ، فاشلة فى قدرتها على التكيف ، والإحساس بالسعادة فى الحياة .

٩ ــ يجب أيضاً التسليم بأن الحب هو الدافع الرفيع وراء كل شاعر وموسيقى . وقصاص . بل وراء كل فنان حساس استطاع أن ينمى بصيرته إلى مستوى التفلسف . وأفاد المدنية بإحساساته المرهفة . وحيثما يكبت الحب لايؤدى إلاّ إلى مآس . وفان جوخ خير مثل على ذلك . إن الشخص الذى لايحب . بل والذى لايسمح له بالحب . قدتتولد فى صدره المأساة بعدم الإحساس بالغير . فيؤتى أفعالا شريرة غير اجتماعية لاخير فيها .

١٠ ــ فى الوقت الذى سارت فيه البلاد شوطاً بعيداً نحو تحرير المرأة وإعطائها مكانتها فى المجالس والأجهزة الشعبية والوظائف . آن الأوان لإعادة النظر فى العادات التخلفية التى تصور المرأة أنها مستعبدة للرجل . وليس لها إرادة أو حق الاختيار . بل كل العادات التى تضع المرأة موضع الجنس التابع الذى ليس له حق فى الحب يجب إعادة النظر فيها لنساير الأمم التى تغلبت على العقد الجنسية المختلفة . ونهضت من كبوتها .

١١ ــ آن الأوان لإدراك أن الكبت والقمع والحرمان قد تكون وسائل ضاغطة على الاستعداد الجنسى ليختفى من الصورة الاجتماعية . ولكن الحقيقة أن هذه الوسائل تزيده شراسة . وتحوله إلى طاقة ينفس عنها سرياً بوسائل غير مشروعة اجتماعياً . فتأتى الأضرار أشد مما يتصور دعاة الكبت والقمع والحرمان . ولذلك فإن ظهور الدافع يحتاج إلى مواجهة للتسامى به وتعريفه فى أمور تجلب السعادة . بدلا من تشجيع الحرمان وما يرتبط به من مسالك سرية .

١٢ — كثير من الشباب الذين يصلون لسن الزواج يتزوجون وليس عندهم مفاهيم علمية سليمة لكثير من تفاصيل الجنس، ويواجه الزوجان أحدهما الآخر بنوع من عدم الفهم ، والمحاولة والخطأ ، وعدم القدرة على التكيف ، بل والإحساس بالذنب الذى يجعل من الحياة الزوجية شيئا تعيساً بالنسبة للطرفين . ولذلك فإن الفهم المتبادل ، ونمو عاطفة الحب السامية ، يجعلان من حس كل من الطرفين شيئاً مرهفاً يراعى فيه الواحد الآخر ، ويساعد على إنجاح الحياة الزوجية ويملؤها سعادة . ويحولها من مجرد شكل نمطى اجتماعى إلى عشق وتفان وأمل وتشبث بالحياة وبنائها لسعادة الأطفال ، وسعادة الزوجين معا .إن هذا التفاهم لايتحقق بالعزلة ، وإنما يتم بالاختلاط السليم قبل الحياة الزوجية . ذلك الاختلاط هو الذى يمهد لنمو المشاعر وصقلها ، والتدرب على التكيف للجنس الآخر ، وفهم حاجاته . والنجاح فى تلبيتها وتحقيقها .

الجنس والتربية الفنية : وقبل ختام هذا الفصل يجب التنويه بأهمية التربية الفنية فى التربية الجنسية وبخاصة فى دور المراهقة الذى يشغل فترة المرحلة الإعدادية والثانوية من حياة المتعلم . فالفن أصلا وسيلة للتعبير عن المشاعر ، ومن بين تلك المشاعر النوع الرومانتيكى الحالم الذى يعكس الشاعرية التى يحس بها كل جنس تجاه الآخر ، والفن أيضاً وسيلة هذا التهذيب؟ وكيف ينجح مدرسو التربية الفنية فى أن يلعبوا دوراً فعالا فى حياة التلاميذ الجنسية ليجعلوا من مشاعرهم شيئاً مهذباً مقبولا من الناحية الاجتماعية ، ومتسامياً خالصاً من العقد ، وألوان الكبت ، التى تعرقل الشخصية ، وتنحرف بنموها .

إن أمام مدرس التربية الفنية وسائل عديدة لتحقيق هذا الهدف من اختياره للموضوعات والخامات والأدوات ، وكذلك اطلاع التلاميذ على نماذج من التراث التى نجح الفنانون فيها فى التعبير عن مشاعر اتجاه الجنس الآخر ، هذا بجانب الجو الذى يستطيع أن يخلقه المعلم ليجعل التعبير حرًا صادقاً منفساً عما يختلج فى كيان الطالب أو الطالبة . وفيما يلى نقاط محددة يمكن النظر إليها عند وضع برنامج للتسامى بالحافز الجنسى من الوجهة الجمالية والاجتماعية :

١ ــ فى اختيار الموضوعات . يضع المدرس نصب عينيه أن الموضوعات التى كانت تتناسب مع سن السابعة أصبحت لاتتناسب مع سن الخامسة عشرة لتغير النفسى والجنسى المثير لاهتمامات جديدة مغايرة لما كان حادثاً فى مرحلة الطفولة المبكرة . ولذلك فإن الموضوعات الرومانتيكية التى تقوم أساساً على العطف ، والتعاطف ، والحب ، من أهم ما يثير الطالب والطالبة فى سن المراهقة . فموضوعات حول قيس وليلى . أو عنتر وعبلة . أو روميو وجولييت ، هى قمم فى التسامى الشاعرى فى الحب والتضحية والوفاء . حتى حينما تعالج موضوعات تتصل بتآلف الطيور والحيوانات وانسجامها بعضها من بعض لمثير أيضاً للتلاميذ فى هذه المرحلة .

٢ ــ فى اختيار الخامات ، هناك أنواع تساعد على الحس والتحسيس : كالطين ، والحجر ، والخشب ، التى قد يصوغها الطالب والطالبة فى صورة تماثيل عن الجنس الآخر تبين مفاهيمه الجمالية ، وتعكس حساسيته الشاعرية الرقيقة . فحينما تتشكل الموضوعات بخامات ملائمة ومتحدية من الناحية العضلية ، فإنها ترتج من زاويتها التنفيسية .

٣ ــ أما الأدوات ، فالنوع الذى يتصل بالقدرة التعصبية على

الأداء يكون محبباً لدى طلاب هذه المرحلة من استخدام الأشياء اليسيرة التى كانت تستخدم فى المرحلة الأولى . ولذلك فإن الآلات الكهربائية . والمطارق ، والمناشير ، وغيرها من الأدوات التى يمكن للفتى أن يستغل بناؤه الجسمى فى حسن استخدامها ، تعطيه وقتاً ممتعاً يعرف طاقته فيها وقد تجد الفتاة فى الضغط بالآلات البسيطة على الصفيح أو فى نحت الخشب ، أو الإبر التى تشكل الصوف ، وتغزله . وسائل ملائمة لتسجيل المشاعر والتعبير عنها .

٤ — وفى التراث الفنى نماذج لاحصر لها لارتباط الجنسين . إذا تذكرنا صورة آدم وحواء . وكيف لعب عليها الفنانون منذ عصر النهضة وما بعدها ، ليبينوا اتصال الجنسين . والعلاقة الوطيدة بينهما خصوصاً بعد طردهما من الجنة . وهناك تماثيل إغريقية تعكس النسب الجميلة للمرأة . وكذلك صور من أعمال تشيان ، وروبنز ، وغيرهما ، مليئة بالقيمة التى تكشف عن جمال الجسم وفتنته . موضحة بالألوان البديعة التى تسحر الألباب . إن رؤية هذه الأعمال الفنية الخالدة فيه تهذيب للنفس وتسام بالجانب الجنسى حينما ترى الإحساسات معكوسة بصور مهذبة فى التصوير . والنحت . والنحت البارز ، والتحف الصغيرة .

٥ — وفى طريقة التدريس . يقوم العمل المشترك فى المدارس المختلطة بخلق جو اجتماعى ناجح ، يوطد الأواصر بين الجنسين . والفن مجال فسيح . ملىء بالأنشطة التى تيسر الأعمال المشتركة الجماعية فى التصوير ، والأشغال الفنية . وفى المسرحيات ، وديكوراتها . ومجلة المدرسة ، ومجلات الحائط .